التنظيرات و النقد فی الادب العربی
السنة الاولی، العدد ۱، ربیع ۱۴۰۰
صص ۴۰ – ۱۷

«النقد والدراسة لمواقف أبي الفرج الإصفهاني تجاه بعض شعراء الشيعة»

مسعود اقبالی[۱]
بهروزی، مجتبی[۲]

تاريخ الوصول: ۹۹/۱۲/۰۵
تاريخ القبول: ۱۴۰۰/۰۳/۱۸

الملخّص

إنّ شعراء الشيعة قد خدموا الشيعة مباشرةً بمدائحهم لأئمتهم وبصورة غير مباشرة بذمّ أعداء أهل البيت، فإنّهم كانوا يهجون خصام عقيدتهم الدينية ويفحشون في هجوهم، فدافعوا عن أهل البيت وحماهم المطهّرة ولكنّهم قد رُموا بالفسق والخيانة والجبن و...من قبَل بعض النقاد و قلّما نجد شاعراً أو كاتباً شيعيّاً دافع عن أهل البيت (ع) إلّا ونجد أنواع التهم تخيم عليه. بما أنّ كتاب «الأغاني»، يعدّ مصدر هام في الأدب العربي، ولا غروَ، أنّ هذا الكتاب يجمع بين دفّتيه الكثير من الروايات الضعيفة أو المنحولة؛ فلا يخلو من بعض الهفوات والسقطات حين إستعراضه لشخصيّة بعض شعراء الشيعة. فيصوّرهم في بعض الأحيان بما لا يوافقه الشيعة. في هذا المقال نأتي بما أوردها أبوالفرج في كتابه الأغاني من مساوىء بعض شعراء أهل البيت الملتزمين. هو قد نقل روايات تدلّ على أخلاقهم الدنيئة وهجاءهم الساخرة من غير النقد ولا تمحيص. فإنّه حين استعراض التهم الشنيعة لهؤلاء الشعراء يذكر ما يرتاب فيه من حكايات السخيفة يبدوا تلطيخ سُمعتهم والطعن في أعراضهم.

الكلمات الدليلية: أبو الفرج الإصفهاني، شعراء الشيعة، تلطيخ السمعة، النقد.

۱ –جامعه العلوم و المعارف القرآنیه. masood.eghbali89@gmail.com
۲ –قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة زابل. mojtababehroozi@uoz.ac.ir

التمهيد

عندما نلقي الضوء على حياة شعراء الشيعة الملتزمين، نواجه مساوىء كثيرة قد انعكست من قبَل الرواة والنقاد القدامى من العرب، وبالرجوع إلى تراجم الشعراء الذين رموا بأنواع من التهم، يتبيّن لنا إعتماد الرواة على الأخبار الضعيفة من جهةٍ والمبالغة في تشويه سمعة الشعراء من جهةٍ آخر. في هذا المقال نأتي بنماذج من مساوىء شعراء الشيعة الّتي أوردها أبوالفرج في كتابه الأغاني، إذ يتّهمهم بالحماقة والخيانة وتلطيخ السمعة والجبن وما إلى ذلك. ونحاول أن ننقد أو ننفي بعض مزاعم المؤرخين ف

ي التهم الموجّهة إلى الشعراء الملتزمين بأدلة محكّمة.

كما أسلفنا، قد أُخذت النماذج المذكورة في هذا المقال، من كتاب «الأغاني»، فلابدّ لنا أن نلقي الضوء على هذا الكتاب ومؤلفه ومصادره التأريخية قبل دخولنا إلى صميم البحث؛كتاب الأغاني من أهم ما وصل إلينا من كتب التراث العربي، واعتمد عليه معظم المؤلفين بعده، فكان أهم مصدر من مصادر تأليفهم في الأدب والنقد والتاريخ والحضارة العربية بكافة جوانبها وعصورها منذ الجاهلية وحتى عصر مؤلفه. عبَّر عنه ابن خلدون في مقدمته بقوله: «وقد حصلت لهذا الكتاب شهرة واسعة جداً، منذ أن ظهر للناس أواسط القرن الرابع للهجرة ووصلت شهرته إلى الأندلس سريعاً» (ابن خلدون، ١٠٧:١٩٦١). عبرَّ عنه ابن خلدون في مقدمته (١٦٩١م: ٠٧٠١) بقوله: وقد حصلت لهذا الكتاب شهرة واسعة جداً، منذ أن ظهر للناس أواسط القرن الرابع للهجرة ووصلت شهرته إلى الأندلس سريعاً، فبعث الحكم المستنصر إلى مؤلفه ألف دينارعيناً ذهباً، وخاطبه يلتمس منه نسخة. فبعث إليه منه نسخة حسنة منقحة (ابن الأبار الأندلسي، ٣٦٩١م: ١٠٣/١)،كما بعث بنسخة أخرى إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب »فأنفذ إليه ألف دينار[١].« (ابن منظور،١٩٦٥م: ١/١)

وتشير المصادر التأريخية إلى أنّ لأبي الفرج صلاتاً بملوك الأندلس من بني أميّة حيث يقول الذهبي:« ...وحصل له ببلاد الأندلس كُتُب صنّفها لبني أُمَيّة ملوك الأندلس أقاربه، سيّرها إليهم سِرًّا وجاءه الإنعام سرّاً، وهذا عجيب إذْ هو مروانيّ يتشيّع» (الذهبي،٢٠٠٣، ١٠٠/٨). ويرى الدكتور أحمد محمد خلف أنّ أبا الفرج قد أخذ التشيع عن أمّه، وهي من آل ثوابة، وأسرة آل ثوابة كانت مسيحية، ثمّ اعتنقت الإسلام ومالَت

[١] – ناقش هذه المسألة الدكتور محمد أحمد خلف الله فى كتابه (أبوالفرج الأصفهانى /الرواية، صص ٨٢-٨٣) بأنّ العلاقة بين الحمدانيين و البويهيين، كانت سيّئةً جدّاً، ويصعب

إلى التشيّع» (الأعظمي،١٩٨٨: ١٩).

واعترف الكثير من العلماء إلى مكانته الأدبية والعلمية، كما أنّ البعض لا يثقون به، فيذكرون مواضع الضعف والاضطراب في شخصيته وأدبه. فقد تطرّق «زكي مبارك» إلى الجوانب السيئة من حياة أبي الفرج وأدبه قائلاً:«فقد كان الأصبهاني مسرفاً أشنع الإسراف في اللّذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه، فإنّ كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون. وهو حين يعرض للكتاب والشعراء، يتّهم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصيّة، ويهمل الجوانب الجديّة إهمالاً ظاهراً يدلّ على أنّه قليل العناية بتدوين أخبار الجدّ والرزانة وهذه الناحية من الأصبهاني أفسدت كثيراً من الآراء المؤلفين الذين أُعتمدوا عليه (المبارك، ١٩٣٤: ٢٣٤/١). وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الإصفهاني كان كذاباً ينتحل الأخبار ويندمجها في كتابه، فقال الخطيب البغدادي:«كان أبوالفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثمّ تكوّن كلّ رواياته منها» (البغدادي، ١٤١٧: ٣٩٨/١١).

وهذا الكتاب لايزال محطّاً للنقد والدراسة رغم شهرته الواسعة، فيقول خلف الله:«فلقد كان أبوالفرج يقصّ ألواناً من القصص، تتمثّل فيها الغرابة وهو يقصّها إرضاءً للروح الدينية أو المذهبيّة الخاصّة، أو لأنّها تستثير الخيال وترضي هذه العقلية الّتي تميل إلى الغريب ولو كان من المصنوعات والأكاذيب» (خلف الله،١٩٥٣: ١٥٨). في الواقع أنّ دخول الروايات المصنوعة والمنحولة في الأغاني قد انحرفه من جادّة الصواب في بعض الأحيان، فلا يطمئنّ النقاد إلى صحّة رواياته، فيشكّ ابن الجوزي فيها قائلاً:«...ومثلُه لا يوثق بروايته، فإنه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى فيها كلّ قبيح ومنكر» (ابن الجوزي،١٩٩٢: ١٨٥/١٤)

ومن ميزات هذا الكتاب،كثرة الروايات والقصص عن المغنّين وأهل المجون والخلاعة. ولكنّه يستفيد من خياله المجنّح في خلق هذه القصص، فلابدّ من الخطأ والاضطراب في صحتها. يقول محمد عبد الجواد الأصمعي:«يتبيّن لنا من الروايات التي أوردها أبو الفرج الإصفهاني في كتابه الأغاني، أنّه كان قد تساهل فيما نقله من الكتب، أو قد كان اطّلاعه لم يكن بشكل كافٍ وقد نقل مشافهة عن البعض» (الأصمعي، ١٣٢؛١٩٥٠). كما يشكّ محمد غنيمي هلال، في صحة بعض روايات الأغاني كأخبار الإصفهاني في عروة

على أبى الفرج أن يهدى كتابه إلى سيف الدولة، و هو يرى أنها من وضعِ بعض النسّاخ، لترغيب الناس فى كتاب الأغانى.

بن حزام وحبيبته عفراء» (غنيمي هلال، لا تا:۱۹). كما أسلفنا، كان الإصفهاني مسرفاً في اللّذات والشهوات كلّ الإسراف، وصاغ معظم أخباره إعتماداً علي خياله الواسع، تابعاً لأهواءه وميوله إلى خلق قصص يوافق طباع الناس ونزعاتهم آنذاك. يقول محمد خلف الله مشيراً إلى هذه النقطة الهامّة من شخصيّة أبي الفرج:«لقد وقفنا ما لأبي الفرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول والأهواء، كلّما حاولنا الاعتماد على ما خلّف الرجل من مرويات فقد يكون الرّجل مضلّلاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى. وليس يخفي أنّ للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب، وإنّما أيضاً في الكتمان» (خلف الله،۱۹۵۳: ۲۳۵).

فهذه الآراء كلّها تشير إلى أنّ تشيّع أبي الفرج كان سطحياً لا خلوص فيه. وليس عجيباً أن يرسم لنا صورة مغايرة بالواقع من الشعراء الملتزمين ويعدّهم من عداد الظرفاء والمجان آنذاك، بحيث يحكي روايات من حياتهم مضادّة مع نزعاتهم الدينية وأخلاقهم السامية. فلهذا لايمكننا أن نعدّه خالصاً في تشيعه، إذ تضرب الآراء حول نزعته الشيعية، لأنّه كان من ندماء الوزير أبي محمد، الخصّيصين به وكان أمويّ النسب، وكان الناس على ذلك العهد يحذرون لسانه ويتّقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كلّ صعب من أمره (الحموي،۱۹۹۳: ۵/ ۶۱). فنحاول أن نتبيّن للقارىء المنصف تهَمَه حتى يصل إلى الاستنتاج المنطقي والنتاج الصحيحة. في هذا المجال، نعرض التُّهم التي أُلصِقَت بهؤلاء الشعراء ثم الإجابة الأسئلة التالية:

۱. هل بإمكان أبي الأسود أن يتخطّى حدودَ الإسلام ويشهّرَ سيفه في الشهر الحرام عند طواف الكعبة؟ ۲. هل يمكننا الاعتماد على رواية الإصفهاني في بكاء دعبل أمام الطغاة وخضوعه لهم بغية النجاة والخلاص من أيديهم؟ ۳. هل هجر النّاسُ كلّهم شعرَ السيد الحميري وطردوه لتعرّضه على الصحابة وإفشاء الحقائق المرّة آنذاك؟

سوابق البحث

هنـاك كتب ومقالات عدة قـد ألقـت الضوء على بعض الزوايا من كتـاب «الأغـانى» و رأت فيـه مواطن الخلل البيّنة والاضطراب من سقط أو نقص أو تحريف أو تصحيف فى مواضع كثيرة منه كدراسة «محمد خير شيخ موسى» فى عنوان «مواضع الخلل والاضطراب فى الأغـانى» المطبوع فى مجلة «التراث العربى»، جمادى الأول ۱۴۰۹، العدد ۳۴. بعض الدارسين تناولوا هذا الكتاب من وجهة الدينية و رأوا فى طيات الكتاب روايات الشنيعة تنسب إلى اهل البيت (ع) و شعراءه الملتزمين. لهذا كتاب«السيف اليماني في

نحر الأصفهاني صاحب الأغاني» لوليد الأعظمى الذى تطرّق إلى التهم الموجّهة فى أهل البيت (ع). من جانب آخر، قد تمّت دراسات خلال السنوات الأخيرة حول شخصية الشعراء الشيعة الملتزمين ودورهم الريادي في مجال الأدب وذودهم عن حمى أهل البيت (ع) بقصائدهم المليئة بالنبرات الحزن والكآبة، فمن هذا المنطلق قد درس زوايا أشعارهم من ناحية الاحتجاج لبني هاشم في الإمامة والبكاء على قتلى من الشيعة والعداء الشديد لخصوم أهل البيت (ع)، من مثل كتاب «أدب الثورة في الشيعة» لصادق آينه‌وند؛ «الأدب الملتزم بحبّ أهل البيت (ع)» لصادق السياحي؛ «حزب الشيعة في أدب العصر الأموي» لثريا ملحس؛ «تاريخ العصر الأموي» لمحمد علي آذرشب و تأليفات عديدة بهذا الصدد. ولكنّنا لم نعثر على بحث شامل بأن يخوض في الدفاع عن شعراء الشيعة ونفي مزاعم المؤرخين في التّهم الموجّهة إليهم، إلّا قليلاً من المقالات النقدية في هذا المجال، كمقالة الدكتور مختاري تحت عنوان«دراسة نقدية لآراء النقاد المتحيّزة حول الشعراء الشيعة»، ومقالة الدكتور معروف في عنوان«شخصيّة دعبل الخزاعي من خلال التناقصات»، ولهذا يتطّرق هذا المقال، دراسةً نقدية وتبيينَ مواقف أبي الفرج الإصفهاني ونفيَ تهمِه الموجّهة إلى الشعراء الشيعة، في صبغة متباينة من تلك الآثار ليبيّن الحقيقة من خلال تلك المزاعم.

عرض الموضوع

يعتقد بعض النقاد المعاصرين بأنّ «الأغاني» فيه روايات موضوعة ومنحوله، فيشكّون في صحّة كلّ ما ذكره الإصفهاني من بيان أعراض الناس وأحوالهم. بغضّ النّظر عمّا يقال عن كذبه و صحّة رواياته، نرى بين دفّتيه حكايات شنيعة في أهل البيت (ع) وخاصّة في سكينة بنت الإمام الحسين (ع) وهو لايبالي أن يطعن في شخصيتها ويجرحَ سيرتها، فكيف لا يبالغ عن الطعن في شعراء الشيعة المشهورين كأمثال دعبل الخزاعي و السيد الحميري وكثير عزّة و...؟

لقد ذهب الإصفهاني إلى ذكر القصص الموضوعة في شخصية سكينة بنت الحسين (ع). مثل إجتماعها مع عمر بن أبي ربيعة الفاسق، ورجوعها إلى ابن سريج واصرارها له إلى الغناء بعد توبته (الإصفهاني، ١٩٨٦: ١٥/ ١٢٥). أما في القصة التي نرتاب في صحّتها، يقول:«أخبرني عمي قال: حدّثنا عبيد بن حُنين الحيريّ قال:كان المغنّون في عصر جدّي أربعة نفرٍ، ثلاثة بالحجاز، وهو وحده بالعراق...فعدلوا إلى منزل سكينة، فلمّا دخلوا إليها، أذنَت للناس إذناً عاماً، فغصّت الدار بهم، وأمرتْ لهم بالأطعمة...ثمّ إنّهم سألوا جدّي حنيناً أن يغنّيهم. فغنّاهم إيّاه، فازدحم الناسُ على السطح وكثروا ليسمعوه، فسقط الرواقُ على مَن تحته،

ومات حنين تحت الهدم، فقالتْ سكينة عليها السلام: لقد كدّر علينا حنينُ سرورَنا، انتظرناه مدّة طويلة، كأنّا والله نسوقه إلى منيّة» (المصدر نفسه؛١٥/١٢٧)

في الحقيقة، صوّر الإصفهاني في هذه القصة الوهمية، صورة مجلس غناء وطرب، كما تداول بين يديّ الخلفاء في قصورهم المليء بالغلمان و المغنّين؛ كأنّه يتطلّع إلى تطفيف آلام فاجعة كربلاء العظمى التي جرحت القلوب إلى الأبد، ودويّها بين الناس بهذه الحكايات السخيفة. وعلى حدّ قول صاحب «السيف اليماني»، هل يمكن أن يكون موت حنين المغنّي مكدراً لسرور سكينة!، وموت أبيها واستشهاده، ألم يكن مكدّراً لسرورها؟ (الأعظمي،١٩٨٨: ١٠٣).فبهذه الآراء المتباينة والأفكار المتضاربة في شخصية أبي الفرج وحكايات الأغاني، نستطيع القول بأنّ المواضع التي رسمت فيها الإصفهاني، صوراً لشخصية بعض شعراء الشيعه، يخالف مباديء الشيعه وعقائدهم. فيشكّون في صحّة بعض أخباره وتشيّعه ولا يثقون به، لإدماجه روايات شنيعة تنسب إلى أهل البيت (ع) وشعرائه الملتزمين بين دفّتي كتابه الأغاني.

تلطيخ سمعة أبي الأسود وزوجته

لقد ذهب بعض المؤرخين إلى نقد شعراء الشيعة من ناحية الأدبية أو الخلقية، فرموهم بأنواع من الخصال الشنيعة ورسموا منهم صورةً مغايرة بالواقع. من هذا الأثناء قد وجّه بعضهم كأبي الفرج الإصفهاني إلى خلق التهم لإبعاد الناس عن الشيعة وشعرائهم بأشكال مختلفة فرووا الحكايات السخيفة لتشويه سمعتهم للوصول إلى مقاصد معيّنة. فهذا أبو الأسود الدؤلي قد ألصق به بعض التهم للحطّ من مكانته الرفيعة بين الناس بحديث زوجته مع ابن أبي ربيعة الفاسد عند بيت الله الحرام.

روى الإصفهاني حكاية تعرّض ابن أبي ربيعة بزوجة أبي الأسود قائلاً:«أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثنا عبدالله بن محمد قال حدّثنا العباس بن هشام عن أبيه، قال **أخبرني مولىً لزياد**، قال:حجّ أبو الأسود الدؤلي، ومعه امرأته و كانت جميلة، فبينا هي تطوف بالبيت، إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود فاخبرته، فأتاه أبو الأسود فعاتبه. فقال له عمر: ما فعلتُ شيئاً. فلمّا عادت إلى المسجد، عاد فكلّمها، فأخبرت أبا الأسود، فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالسٌ، فقال له:

وإنّي لتثنيني عن الجهل والخنا   وعن شَتمِ أقوامٍ خلائق أربع[١]
حَياءٌ وَإسلامٌ وَلُطْفٌ وَأنّني   كريمٌ وَمِثْلي قَدْ يَضرّ وَيَنْفَعُ

[١]– ثنى فلاناً: كفَّه وصرفَه عن حاجتِه. الخنا: الفحش في الكلام.

فشتّانَ ما بيني وبينك إنّني على كلّ حالٍ، أستقيمُ وتظلعُ[١]

فقال له عمر: لستُ أعود يا عمّ لكلامِها، بعد هذا اليوم، ثمّ عاد فكلّمها، فأتَت أبا الأسود فأخبرتْه. فجاء إليه، فقال له:

أَنْتَ الفَتى وَابْنُ الفَتى وَأخو الفَتى وَسيّدُنا لَوْلا خَلائقُ أَرْبَعُ
نُكولٌ عَنِ الجُلّى، وَقُرْبٌ مِنَ الخَنا وَبُخْلٌ عَنِ الجَدْوَى، وَأنّك تتّبع[٢]

ثمّ خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على السيف، فلمّا رآها عمر أعرض عنها، فتمثّل أبو الأسود:

تَعدو الذِئابُ عَلى مَنْ لا كِلابَ لَه وَتتّقي صَوْلَةَ المستَأسِدِ الحامي[٣]

في ردّ هذا المزاعم نقول أنّ تجاسرَ أبي الفرج على منزلة أبي الأسود الدؤلي قد برز جليّاً بهذه الحكاية، إذ نشاهد أن شاعر ماجن كإبن أبي ربيعة يتجاسر على امرأة أبي الأسود، ذلك البطل الفاتك مع شجاعته وسطوته أمام الأعداء، في موسم الحج وفي المسجد الحرام وهو يريد أن يلطّخ سمعة أبي الأسود و عفة زوجته، فكيف بأعراض الناس المغمورين؟ من جانب آخر كثرت تحرشات ابن أبي ربيعة مراراً ولا يصنع أبو الأسود شيئاً إلّا أن يأتي كلّ مرّة ليعاتب ذلك الشاعرَ الفاسد. يعني يريد أبو الفرج أن يتصور لنا ضعف أبي الأسود و حقارته أمام ذلك البغي و غوايته، مع أنّه كان شيخ العشيرة وسيدّهم وله الفخر والجلالة. أ يُقبل هذا الهوان من أبي الأسود الشجاع؟ إذا نقبل هذا الخبر فكيف يأتي أبو الأسود بأبياتٍ من وزن واحد وروييٍّ واحد ليجيب ضلالة الشاعر؟ هل بإمكانه أن يقول أبياتاً على قافية معينة ثمّ بعد بضعة أيام يأتي بأبيات أخرى بنفس القافيه و نفس الرويّ مع شدّة غضبه وثورته على ذلك الفعل الدنيء عند بيت الكعبة؟ فكيف لم ينس قافية تلك الأشعار ورويّها؟ كلّ هذه الأسئلة يسوقنا إلى بطلان تلك الحكاية و تزيّف مصدرها.

أضف إلى هذا فكيف يحمل السيف في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام، وهو من كبار التابعين الواقفين بشرائع الحج و آدابه في حرم الكعبة المقدّسة؟، الرجل الّذي قال ابن خلكان فيه:«وكان مِن أكمل الرجال رأياً، وأسدّهم عقلاً» (ابن خلكان، ٥٣٥/٢)، فما هو قصد أبي الفرج عن تبيين هذه الصورة المغايرة مع شرائع الإسلام و سننه في موسم الحج بجوار الكعبة؟ في الواقع أنّ جرأة أبي الفرج وحقده على مقدّسات الشيعة و إلتزام شعرائها، يجرّه إلى نقل مثل هذه الحكايات السخيفة.

---

[١]- شتّان: اسم فعلٍ بمعنى بَعُدَ. الظلع: العيب، أي: إنّك ضعيفٌ فائتِهِ عمّا لا تطيقُه.

[٢]- نكل نكولاً عن كذا: نكصَ وجبُن، الناكل: الجبان الضعيف. الجَدوَى: العطيّة. تُتّبع: ج تبايع: الظلّ، سُمّي بذلكَ لأنَّه يتبَعُ الشّمسَ حيثُما زالَتْ.

[٣]- الصولَة: السَطوَة، القهر، القدرَة.

إن ندقّق في هذه الرواية، نشاهد أنّها ليس لها إسناد موثوق به و قد جعل السند ينتهى إلى مجهول، لأنّه في صدر هذه الرواية يقول«**أخبرني مولىً لزياد**...». أيّ مولىً هذا من موالي زياد؟ وهل يمكن الاعتماد إلى نقل الرواية من مولىً دون أن يُذكَر اسمه أو نسبُه أو قبيلتُه المعينة؟ إذ نراه يروي معظم رواياته على لسان أشخاص وهمية كهذه الحكاية، مثلاً يقول: قال لي رجلٌ من أهل الكوفة...،أو حدّثني شيخٌ عن رجلٍ يقول كذا...، أو يقول قالت عجوزةٌ...في هذا الموضع يقول صاحب كتاب السيف اليماني:«اعتمد أبو الفرج الإصفهاني في كثير من أخباره السوداء المظلمة المسمومة علي طائفة خبيثة من الرواة الكذّابين واعتبر أخبارهم موثّقة ولوّث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسّخائم والبلايا» (الأعظمي،۱۹۸۸: ۲۷)

ومن جانب آخر إلى حدّ قول الدكتور زكي مبارك أنّ كثيراً مِن حوادث ابن أبي ربيعة الغراميّة من صنع الخيال. ولكن صاحب الأغاني ساق أخبار ابن أبي ربيعة كلّها على أنّها حقائق، وساقها مروية بالسند، ورواية بالسند شيءٌ ساحرٌ فُتن به كثير من الناس وظنّوه علماً دقيقاً له آداب وشروط، واعتماداً على هذا العلم الدقيق أُطمأنّ أكثر الباحثين إلى روايات الأغاني فضلّوا وأضلوا في حقائق التاريخ (المبارك،۱۹۳۴: ۱/ ۲۳۷). يعني أنّ صاحب الأغاني قد نقل من أخبار ابن أبي ربيعة ما طاب له من غير نقد ولا تمحيص إذ قال في موضعٍ:«...وهذا الخبر عندي مصنوع، وشعره مضعف يدلّ على ذلك، ولكنّي ذكرتُه كما وقع إليّ» (الإصفهاني، ۴/۸). و نرى أنّ زكي مبارك يقف هذا الموقف بطريقة نقدية حيث يقول:«هنا دلّنا صاحب الأغاني على ارتيابه في بعض الأخبار، ولكن لماذا يذكر ما يرتاب فيه كما يقع إليه؟ يذكره لأنّه يريد أن يقدّم ما يروق الناظر ويلهى السامع» (المبارك،۱۹۳۴: ۱/ ۲۴۱)

وقد نسي ابوالفرج بأنّه قد نقل هذه الأشعار في الصفحات التالية في حديث أبي الأسود عن جاره الخبيث ولا يرتبط بابن أبي ربيعة أبداً. هو يقول:«حدّثني أبوبكر الهذلي قال كان لأبي الأسود جار من بني حليس... فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى ويؤذيه فشكا أبوالأسود ذلك إلى قومه...فقال أبو الأسود والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربي فباع داره واشتري داراً في هذيل، فقيل له:«يا أبا الأسود أبعتَ دارك؟»، قال:« لم أبع داري ولكن بعتُ جاري»، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك: (الإصفهاني: ۱۱/ ۱۱۲)

وَإِنّي لَتثنيني عَنْ الجهلِ وَالخَنا ... وَعَنْ شَتْمِ أقْوامٍ خَلائقٍ أربَعُ
حَياءٌ وَإسلامٌ وَلُطْفٌ وَأنّني ... كريمٌ وَمِثْلي قَدْ يَضرّ وَيَنْفَعُ
فَإنْ أعْفُ يَوماً عَنْ ذُنُوبٍ أتَيْتَها ... فإنّ العَصا كانَت لمثلي تَقْرَعُ

فى الواقع أنّ أبوالفرج قد أخذ بعض أخباره من الرواة بالتلفيق و الاختلاق دون دقّة وتمحيص في صحة

روايته. وتلك الأشعار قالها أبو الأسود في ذمّ جاره الحقير وقصّة زيارة ابن أبي ربيعة مع زوجته ليست لها نبعاً، بل هو كلام مزيّف لتشويه وجهة شاعرنا المخلص لآل البيت (ع) بقتاله في حرم الكعبة المقدسة وهتكه لمقدّسات الشرعيّة آنذاك. فى الواقع أنّ كتاب الأغانى «طافح بالأخبار التى تسيءُ إلى آل البيت النبوى الشريف وتجرح سيرتهم وتقدح فى سلوكهم وتهوّن أمرهم، وتوهّن شأنهم وتجعل منهم عشّاقاً للهو والطرب والعبث» (الأعظمى؛ ١٩٨٨م: ٧٣) على سبيل المثال قد أورد صاحب الأغانى بأنّ «يزيد بن معاوية يشرب الخمر و عنده الإمام الحسين فلا ينكر عليه و معبد يغنّى لزوجة الإمام الحسن و السيدة السكينة بنت الإمام الحسين سفيهة ماجنة رعناء تحتكم فى جمالها إلى عمر ابن أبى ربيعة (الإصفهانى: ١٠٥/١) وهى تحكم بين المغنيين، و يموت المغنّى «حنين الحيرى» فى بيتها حين سقط السقف على الحاضرين (نفس المصدر: ٣٥٥/٢). كلّ هذه التهم قد أوردها أبوالفرج بغية تجريح سيرة آل البيت، فكيف لا تهدف تلطيخ سمعة شعراءهم بأىّ تهم لا سند لها؟. فيبدوا أنّ أبا الفرج يشكّل حوادث الخبر أو الحكاية من رواية إلى أخرى، ويرويها بطرق متعددة، ويضيف ويحذف ويعدّل، ويوهم القارئ أنّه يستوثق من الخبر بذكر سند طويل.

ومن ميزات هذا الكتاب الضخم يمكن الإشارة إلي كثرة الروايات والقصص التي ذكرها الإصفهانى عن المغميين و أهل الطّرب و المجون. يشكّك الدكتور محمد غنيمى هلال فى المنهج الذى سلكه الإصفهانى فى ذكر هذه الرّوايات قائلاً:«رواية من عبدالرحمن بن عمار الشهير بالقس و هيامه بسلامة المغنيّة أو أخبار عروة بن حزام و حبيبته عفراء، فكلّ هذه المشاهد التى يعرضها الإصفهانى حول لقاءات بين قيس و سلامة، خاصّة تلك الأماكن التى تتخلّف فيه المغنيّات من جلّ ملابسهنّ، تجعلنا نرتاب فى صحّة هذه الأخبار، أو على الأقل لا نعتمد عليها كرواية من تاريخ الإسلام لأنّها لن تتفق مع روح الإسلام وكيف الرجل يترك زوجه مع رجل آخر و هو يعلم ما يدور بينهما من الحب و الوجد و الشّوق، و هل هذه من تعاليم الإسلام أن يقدّم رجلٌ إمرأته فى خلوة مع رجل آخر، يتشاكيان لواعج الهوى و ألم الوجد، فيصور الإصفهانى هذه المشاهد بهذه العبارات:«وقد وفد على زوج حبيبته بالشام، فأكرمه الزّوج فأحسن مثواه، وخرج و تركه مع عفراء يتحدّثان ... فلمّا خلوا تشاكيا ...» (غنيمى هلال؛ لا تا: ١٩)

ومن يدقق في هذا الكتاب يري فيه من الروايات الواردة ما ليس لها إسناد موثوق بـــــه، ومردّ ذلـك أنّ الإصفهاني قد نقل عن رجال لايوثق بهـم وطعن عليهم الكثير من العلمـاء الأقدمـين. وقد ذكر وليد الأعظمي في كتابه «السيف اليمانى» الكثير من هؤلاء الرجال (الأعظمي، ١٩٨٨م: ٤٤-٢٥)

دعبل الخزاعي

إذ نلقي الضوء على بعض الزوايا من حياة دعبل الخزاعي، نعثر على مواقف عديدة التي قد بيّنها أبو الفرج في كتابه الأغاني، بحيث قد انحطّ شأن دعبل إلى الأسفل الرديء أحياناً؛ إذ يُعدّ أكثر الناس عرضةً لأنواع المخاطر و تلطيخ السمعة ودناءة النفس و....في هذا المجال نكتفي بالوجيزة في أخبار أبي الفرج حول شخصية دعبل في مواقف منها:

قال أبو الفرج بعد أن نسب إلى دعبل أوصافاً فريدة :«إنّه هجاءٌ خبيث اللسان، لم يسلم عليه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أُحسن إليه أم لم يُحسن ولا أفلت منه كبير أحد» (الإصفهاني،١٨/ ٢٩)

في الواقع أنّ دعبلاً هو الشاعر العقيدة الشيعية وله الوفاء الصادق لأهل البيت الّذي لا يُعرف منه ميناً والاخلاص الراسخ لا يشوبه خداع أو تهم. فليس من الشك في أنّ دعبلاً فقد تطرّق في نظمه إلى مختلف المواضيع و تعرّض بشعره كثير من الخلفاء و الوزراء والقواد و بهذا السبب عرض نفسه إلى شتّى المخاطر حتّى أستشهد وهو بعيد عن أهله ووطنه في قرية من قرى الأهواز (ابن عساكر. لا تا: ٢٧٧/١٧).

والجدير بالذكر أنّ هذا النوع من الهجو الساخرعند دعبل لم تكن من طبعه وفطرته كما ظن أبوالفرج و تابعيه، بل كان مكتسباً مستمداً من بيئته الفاسدة التي أوحت له بضرورة النقد الهادف لإصلاح المجتمع وتقويم اعوجاجه، لأنه كان كارهاً للجور والفساد؛ لأنّ «كان هذا العصر، إذن عصر شكّ فى كلّ شىء، وعصر مجون و تهتّك فى الحياة العملية، وفى القول أيضاً» (طه حسين، لا ت: ٢٩/٢)

قد اتّخذ دعبل أشعاره سلاحاً في عقاب الحكّام العباسيين لإظهار مساوئهم ومعايبهم وعدوانهم البارز إزاء الهاشميين و العلويين المضطهدين، لأنّ شعارهم كان الدّعوة للرّضا من آل محمد (ص)، ولم يتعرضوا لأهل البيت (ع) في بدء الأمر، ولكنّهم حين حكموا، طغوا وبغَوا وارتكبوا الجرائم في وجههم، فيصف الشاعر تلك المجزرة:

وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الأحياءِ نَعرِفُهُ مِنْ ذِي يَمَانٍ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
إلّا وَهُمْ شُرَكاءٌ في دِمائِهِم كَما تُشارِكُ أيْسَارٌ عَلى جَزَر[1] (ديوان:١٧١)

[1] – أيسار: ج ياسِر:الّذي يتولّى قسمة جزور الميسر، الجزّار. الجَزَر: الواحدة «جَزَرة»: كلُّ شيءٍ مُباح للذبح.

وإنّما يهجم على المأمون ويهجوه دون أن يستشعر الخوف أو يتدبّر العواقب. ولا نعرف شاعراً أو ثائراً تركَ كلامُه من الحقد والنقمة علي السلطان، ما تركتْه أشعاره اللاذعة في وجه العباسيين. والحق، أنّها سجلٌ حافلٌ بجرائم العباسيين ومظالمهم، وتعبر تعبيراً صادقاً عن الآلام المنكوبين والمعذبين من الشيعه في تلك الحقبة السوداء في التاريخ. فقد حكى أبوالفرج شجاعة الشاعر و جرأته في هجاء المأمون بهذا الخبر :«أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهروية قال حدّثني ابراهيم بن المدبّر قال: لقيتُ دعبل بن علي فقلت له: أنتَ أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إنّي مِن القَومِ الَّذينَ سُيُوفُهم قتلَتْ أخاكَ وشَرَّفَتْك بمَقْعَدِ
شادوا بذكرِك بعدَ طولِ خُمولِه واسْتَرْفَعوكَ مِن الحَضيضِ الأوهَدِ[1] (ديوان:١٤٦)

فقال: يا أبا اسحاق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها» (الإصفهاني، ١٨/ ٣٤)

كان تشيع دعبل الخزاعي وإيمانه بآل البيت عليهم السلام أهم البواعث باعتقادنا إذ حمله على المعارضة بشكلٍ لاذع، ومن جراء ذلك قام بالدفاع عن أحقيتهم في تولّي الخلافة وإدارة شؤون المجتمع؛ فقد هجا الخلفاء وابناءهم والقواد والوزراء، ووجّه إليهم أعنف الضربات وأقساها، دون أن يبالي بشيءٍ. قال حين أسند المعتصم القيادة إلى الأتراك، وسلطهم على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم:

كأَنَّكَ إِذْ مُلِّكْتَنا لِشَقَائِنَا عَجُوزٌ عَلَيْها التّاجُ وَالْعِقدُ وَالإِتْبُ[2]
لقَد ضاعَ أمرُ النّاسِ إذْ ساسَ مُلكَهم وَصيفٌ وَأَشْناسٌ وَقَدْ عَظُمَ الكَرْبُ[3] (ديوان، ٤١)

وقال حين مات المعتصم، وقام الواثق، أنشد دعبل أشعاراً بمناسبة تسلمه منصبه الجديد على طريقته الخاصة في السخرية:

خَليفَةٌ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحدٌ وَآخرٌ قامَ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ أحَدُ (ديوان، ١٣٣)

لأنّ اللاحق مثل السابق، إمام جور وضلال، وآمِر نفاق وفساد. فليس من الشك في أنّ شعر دعبل يمثّل حياته المضطربة ونفسَه الثائرة الّتي دفعت به إلى كثير من المخاطر، فهو يرى في هذا العدوان أمام الظالمين، الثأر بحقوق المضطهدين من الشيعة وأبناء علي (ع)، لأنّه كان ممّن يوالون آل علي (ع) و يتعصبون لهم و هو يبكي على شهدائهم بكاءاً شديد الحزن والعاطفة. فمن البديهي أن يقف الشاعر أمام خصومهم موقفاً حادّاً لا يرضي الأعداءُ وأن يتعصب لأوليائه ويدافعَ عنهم، لأنّه أيقن أنّ هارون الرشيد قد أذى الإمام الرضا (ع) وسجنَه والمأمون

[1] – الحضيض: ج أحضّة وحُضُض:القرار من الأرض عند أسفل الجبل، أي: المكان الدنيء. الأوهد: أفعل التفضيل من الوَهْد:الأرض المنخفضة.
[2] – الإتْب: ج أُتوب وأتُب وآتاب: وهو قميصٌ بغير كُمّين
[3] – «وصيف وأشناس»: غلامان تركيان ربّاهما المعتصم وجعلهما قوّاداً

قد اتّخذ هذا الموقف أيضاً. و من جهة أخري أنّ المتوكل قد ارتكب عملاً أسوأ منهما في هدمه لضريح الإمام الحسين (ع) ومطاردة الشيعة على قبره الزّكي وما أذاقهم من الأذى والتّشريد. فكيف يسكت دعبل إزاء هذا العدوان الجليّ و الظلم المبين؟

وعلى ضوء إطلاعه على تناقضات الحكم وطمع الحاكمين، يثور عليهم بغية ايضاح مثالبهم ومخازيهم، لأنّه مارس الحكم واطّلع على ما وراء الأستار ومؤامراتهم العدوانية في وجه الشيعة.

وفي الحقيقة، أنّ هذه الأهاجي من قِبل دعبل، رُدود فعلٍ على غواية الخلفاء وضلالتهم تجاه العلويين. إضافة على هذا، إنّه قد استعرض مصارع الشهداء من أهل البيت (ع) استعراضاً حزيناً ونستطيع أن نلخص بأنّ فعلَه كلّه، يجدرُ بالتمجيد و التحسين في تلك الفترة المظلمة الّتي يُنطفأ أيّ ثورة بالفور. فمن الحقّ لدعبل أن ينتصف لهم ويدافع عنهم ويندّد بخصومهم ولو ناله منهم الأذى والتشريد، لأن هذا جزء من عقيدته الدينية ومذهبه الراسخة.

من جانب آخر أنّ بعض أهاجي دعبل الّتي يوجّهها نحو القواد و الوزراء، تبيّن لنا مساويء أخلاقهم وحقائقهم التي يخفونها وراء أقنعتهم. فالشاعر يضع يده على جرحهم ويؤلمهم بهذه الأهاجي المرّة التي يؤيدها ندماء مهجوّين تارةً.

فمن هجاء الوزراء قوله في أبي عباد، وزير المأمون الذي كان شرس الخلق جافي الطبع:

أَوْلَى الأُمُورِ بِضَيْعةٍ وَفسادِ　　　أمرٌ يُدَبّرُهُ (أبو عَبّادِ[1])
خَرِقٌ عَلى جُلَسائِهِ فَكَأَنَّهُم　　　حَضَروا لِمَلْحَمةٍ وَيَوِمِ الجِلادِ[2]
يَسْطُو عَلى جلاسه بِدَواته　　　فمُضَمَّخٌ بدَمٍ ونضح مدادِ[3]
وَكأنّه مِنْ (دَيْر هِزْقِلَ) مُفْرِطٌ　　　حَرِدٌ يجرّ سَلاسلَ الأَقْيادِ[4] (ديوان: ۱۴۷)

قال أبو الفرج بهذا الصدد:«وكان المأمون إذا نظر إلى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله وحدّثني جحظة عن ميمون بن هارون فذكر مثله أو قريباً منه» (الإصفهاني، ۱۸/ ۳۹)

في الواقع أن الخلفاء العباسية كانوا يتعاطون الشعراء بالتسامح والتساهل وإن كان أشعارهم ذماً لهم

---

[1] – «أبو عباد»: وزير المأمون و كاتبه، كان فيه حمقٌ واستسلام سريع للغضب، فولع دعبل منه، وصوّر صلاتِه بكتّابه وجلسائه، ورماه بالجنون. (أنظر: الأغاني،۲۳/۴۳۲)

[2] – خَرِقَ: حَمُقَ، والخَرَقَة: الحُمق ، سوء التصرّف والجهل؛ جَلُد الرجلُ: تكلّف الجَلَد وصَبرَ، والجَلادة: الشدّة والصلابة.

[3] – مضَمّخٌ: مُلطّخٌ بالدّم

[4] – «دير هزقِل»:بين البصرة وعسكر مكرم، وأصل اسمه:دير حزقيل (معجم البلدان،۲/۵٤۰)؛ وكان مأوى للمجانين يشدون فيه إلى أساطين ثابتة ويداوون (البيان والتبيين،۲/۲٤۳). حَرِدَ عليه: غضِبَ، وهو حردٌ وحاردٌ.

وهجواً.فنرى أن المأمون كان يتّخذ سياسة مكيافيلية التي تبرز في سبيل السلوك إلى غايته، بحيث إنّه كان يفكّر في تثبيت خلافته وطرد أعدائه ولو كان من أقربائه. فحينما يهجوه دعبل و يفحش في هجوه، يصفح عنه ويعطي له الأمان، لأنّه كان قد سخر ابراهيم بن المهدي أشد سخرية في هجائه وقرنه بمغنّي الرشيد«المخارق» في الخلافة. فالمأمون كان يرى في تلك الهجاء مقاصده السياسية، بحيث إنّ بيان الضعف وانتكاس العدو يعدّ فوزاً ساحقاً عنده في أمر الخلافة. لأنّ ابراهيم بن المهدي كان قد خرج على المأمون وأقام بعض الثورات والفتن في وجهه.فكيف يقتل دعبل وهو يهجو عدوّه العنيد ومنافسه في غصب الخلافة بهذاه الأبيات::

نَعَرَ ابنُ شُكْلَةَ بالعِراقِ وأَهْلِهِ فَهَفا إليهِ كلُّ أطلسَ مائقِ[1]

إنْ كانَ إبراهيمُ مُضطَلعاً بها فَلْتَصلُحَنْ مِنْ بَعدهِ لِمَخارِقِ[2]

أَنَّى يُكونُ، وَلَيْسَ ذَاكَ بِكائِنٍ يَرِثُ الخِلافَةَ فاسِقٌ عنْ فَاسِقِ (ديوان: ٢٢٣)

وروى أبو الفرج عن تسامح المأمون بهذه الهجاء :«فلما قرأها المأمون، ضحك وقال: قد صفحتُ عن كلّ ما هجانا به، إذ قرنَ إبراهيم بمخارقَ في الخلافة وولاه عهده» (الإصفهاني، ١٨/ ٣٩)

أمّا الصورة الشنيعة التي قد رسمها أبو الفرج لدعبل، تتعلّق بهجائه لمالك بن طوق وتعذيبه إثر تلك الهجاء على يد والي البصرة. إنّه يصوّر لنا صورة عجز وهوان لدعبل أمام والي البصرة، بحيث إن سمع هذا الخبر من تعرّف بدعبل وأخلاقه السامية وشجاعته المميزة، لن يقبل هذه الأخبار الضعيفة من أبي الفرج لأنّه ما حكاها إلّا بغية تشويه سمعة دعبل وتشهّره بين الناس و هذا الموقف نابع عن حقد دفين إزاء جرأة دعبل الأدبية.

قال أبو الفرج:«أخبرني أحمد بن عاصم الحلواني قال حدّثنا أبوبكر المدائني قال حدّثنا أبو طالب الجعفري هجا دعبل بن علي مالكَ بن طوق...وبلغت الأبيات مالكاً فطلبه فهرب فأتي البصرة وعليها اسحق بن العباس بن محمد بن عبدالمطلب... وأمّا دعبل فإنّه حين دخل البصرة بعث فقُبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها وبكلّ يمين تبرىء من الدّم أنّه لم يقلها وإن عدّوا له، قالها إمّا أبو سعد أو غيره، ونسبَها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرّع إليه ويقبل الأرض ويبكي بين يديه، فرقّ له فقال إمّا إذا اعفيتُك من القتل، فلابدّ من أن أشهّرك ثمّ دعا بالعصا فضربه حتّى سلحَ وأمر به فألقى على قفاه وفتحِ فمِه،

[1]- نعَر الرجلُ: صاحَ وصوّت بجيشومِه. «شكلة»: أم إبراهيم بن المهدي، أمة ديلميّة سوداء، قيل: إنّ أباها من أصحاب المازيار (طبرستان)، فلمّا قتلَ حمَلَت إلى المنصور فأعجبت المهدي، فأنجب منها إبراهيم. (أنظر: الأغاني،١٠/٩٥، الفهرست:١٦٨). أطلس: صفة للفرس في لونه غبرةٌ إلى السوادِ.

[2] – الظلع: العيب، أي:إنّه ضعيفٌ، يكلّفُ ما لا يطيقُ بِه. «المخارق»:مولى الرشيد ومغنيه.

فردّ سلحَه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلفُ أن لا يكفّ عنه حتّى يستوفيَه ويبلعَه أو يقتلَه، فما رفعت عنه حتّى بلعَ سلحَه كلّه ثمّ خلاه فهرب إلى الأهواز» (الإصفهاني، ۱۸/۶۰)

كما قلنا في السابق، أنّ دعبل من أعلام الشيعة وكان أبدع ما أنشده، في مدح آل علي (ع) وذكر مناقبهم ورثاء قتلاهم ولا يضعّف ولا يلبلل وفاءه وجرأته في هذا السبيل مآسي ومحن أبداً.لأنّه لا يخشى لبيان الحقائق ولا يرهب أحداً. فهو يعتقد بهذه الآية الشريفة إعتقاداً تامّاً بأنّ «أينما تكونوا يدرِكْكُم الموتُ ولوكنتم في بروجٍ مشيّدة» (النساء/۷۸) وبهذا الاعتقاد الراسخ إذ قابل الخلفاء والقواد الطاغية، نراه يذمّهم ويقذع في ذمّه ويهجوهم ويفحش في هجوه في غير خوفٍ ولا وجلٍ. فإنّه ينظرهم بهذه النفسية الحاقدة وبهذا المنظار الأسود، فكيف يخشى من التعذيب والموت وكيف يبكي ويتضرّع أمام خصومه ويرضى بهذه الحقارة والسخافة ؟ علاوة على بكاء دعبل و تضرّعه أمام الخصم، أضاف أبو الفرج في تلك الحكاية بقوله«**وأمر به فألقى على قفاه وفتحِ فمِه، فردّ سلحَه فيه ... ، فما رفعت عنه حتّى بلعَ سلحَه كلّه**». فهل يُقبل من الشاعر الشجاع الذي كان يشهر بالجرأة والتهوّر أمام الخصوم أن يرتكب هذا الفعل السخيف؟ الشاعر الذي يعرفه بالبسالة والشجاعة كلُّ من في حوله بحيث اعترف محمد بن موسي الضبي راوية العتابي في بسالة دعبل:«...ودعبل رجلٌ قد حمل نفسه على المهالك وحمل جذعه على عنقه فليس يجد من يصلبه عليه» (الإصفهاني، ۱۸/۵۶). فكيف دعبل والتذللَ والهوانَ أمام الأعداء – وهو شيخٌ بلغ الثامنة والتسعين سنة_ للوصول إلى سبيل النجاة بهذا النفس الثائرة والجرأة العالية؟ هل يمكن مِن الرجل الذي تهالك نفسه في المخاطر في سبيل عقيدته أن يبلع نجاسته ليبغي نجاة ويطلب سلامةً وأمناً ؟

إنّ أبا الفرج قد اتّهم دعبلاً في مواقف متعددة بالجناية والقتل، إمّا بالمشاركة مع صديقه إمّا بنفسه وحيداً.ولكن حينما ندقّق في أخباره عن ارتكاب جنايته، تظهر لنا تناقضات عديدة في الرواية تدلّنا إلى الشك في صحة هذه التهمة وبراءة دعبل من ارتكاب الجنايات. حكى أبو الفرج سبب خروج دعبل عن الكوفة قائلاً:«عن أبي خالد الخزاعي: كان سبب خروج دعبل بن عليّ من الكوفة أنه كان يتشطَّر ويصحب الشُّطار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله، فلمّا طلع مقبلاً إليهما وثبا إليه فجرحاه، وأخذا ما في كُمِّه، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقه، ولم يكن كيسه ليلتئذٍ معه، ومات الرجل مكانَه، واستتر دعبلُ وصاحبُه، وجدَّ أوليا الرجل في طلبهما، وجدَّ السلطان في ذلك، فطال على دعبل الاستتار، فاضطر إلى أن هرب من الكوفة. قال أبو خالد: فما

دخلها حتى كتبتُ اليه أعلمه أنه لم يبقَ من أولياء الرجل أحدٌ»(الإصفهاني، ٣١/١٨)

في هذه الحكاية نشاهد أنّ دعبلاً بالمشاركة مع صديقه قتل صيرفياً وبعد ارتكاب هذه الجناية توارى من أعين الشرطة واختفى مدّة ثمّ هرب عن الكوفة بالسرعة وما عاد إليها إلّا بعد مرّ سنين في حين أنّ أولياء المقتول كانوا قد ذهبوا عن الكوفة فهو يدخلها آمناً. إذ نقبل هذه الحكاية فلابدّ أن نتأمّل في رواية أخري نقلها أبوالفرج وكأنّه قد نسى ما حكاها في الأسطر السابقة من كتابه فذكرها مرة أخرى بشكل آخر فيه تناقض عجيب حول ارتكاب الجناية وكيفية خروج دعبل عن الكوفة حيث يقول:«أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني هرون قال حدّثني أبي وخالد {الخزاعي} قالا كان دعبل **قد جنى جنايةً** بالكوفة وهو غلامٌ فأخذه العلاء بن منظور الأسدي وكان على شرطة الكوفة فحبسَه فكلّمه فيه عمّه سليمان بن رزين فقال أضربُه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريبٌ فيقطعَ يده فلعلّه يتأدب بضربي إياه ثمّ ضربه ثلاثمائة سوط فخرج من الكوفة فلم يدخلها بعد إلّا عزيزاً» (الإصفهاني، ٣٦/١٨) وهذه الجناية هو ارتكاب ذلك القتل من قبَل دعبل لأنّه على ما روي، لم يدخل الكوفة إلّا بعد مرّ سنين.

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل خرج دعبل عن الكوفة بعد الجناية بالفور أو أُلقي القبض عليه من قبَل الشرطة وسُجن؟ أبوالفرج يقول تارةً «**فخرج من الكوفة فلم يدخلها بعد**»، يعني كان خروجه من الكوفة معلناً لا يمنعه أحدٌ وهو ارتحل عنها فارغ البال دون خوفٍ واضطرابٍ. ولكنّه في الحكاية السابقة يقول «**فطال على دعبل الاستتار، فاضطرّ إلى أن هرب من الكوفة**»، يعني ما كان خروجه من الكوفة بارزاً بل هو كان قد خرج مختفياً عن أعين الشرطة.

فأيُّ قول من الأقوال يعتبر صحيحاً؟ أنقبل القبض عليه وسجنه ثمّ خروجه من الكوفة دون خوفٍ أم اختفاءه من أعين الشرطة وهربه منها خائفاً مذعوراً؟ يضيف أبوالفرج في تمّمه لدعبل قائلاً:«**كان يتشطّر ...وكان يصلتُ على النّاس باللّيل...**» (الإصفهاني، ٣٥/١٨) ولكنّه ليس إلّا مجرد إدّعاء ولم يقل كيف هو يسلّ سيفه و يجرح النّاسَ ويقتلهم. فهل يمكننا أن نقبل من الرجل الذي يحبّ آل علي (ع) و يخوض معارك عنيفة في سبيل عقيدته الراسخة للدفاع عن أهل البيت (ع) أن يكمنَ في الطرق مشهّراً سيفه يرعب النّاسَ ويقتلهم دون سبب؟ يبدو أنّ هذه التهم قصدت تلطيخ وجهة دعبل ونزعاته الشيعية، لأنّ نفسه الثائرة لم

تعرف الخنوع للذلّ ولم تكن ترهبه القوّة بطش الحكام العباسيين، فلم يسلم حتّى بعد شهادته، إذ دسّ المؤرخون في سيرته الكثير لا يليق به، كما أنّهم لم يتركوا شخصيّة شعراء الشيعة الملتزمين إلّا ودسّوا في سيرتهم.

السيد الحميري

يعتقد أبوالفرج ومَن تبعه مِن النقّاد، بأنّ شعر السيد الحميري مليء بالشتم و السبّ لصحابة والرجال العظام في عصره وهو قد بالغ في تشيعه، ومن هذا المنطلق قد تعدّى الحدود وأتى بالأهاجي خلافاً للواقع. هو يقول:«إنّما مات ذكرُه وهجر الناسُ شعرَه لما كان يفرط من سبّ أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلّم وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره النّاسُ تخوّفاً وتراقباً» (الإصفهاني،۱۹۶۸: ۳/۸)، وفي موضع آخر يقول:«أخبرني علي بن سليمان قال إذا رأيتَ في شعر السيد «دع ذا»، فدعْه، فإنّه لا يأتي بعده إلّا سبّ السلف أو بلية من بلايا» (المصدر نفسه،۶/۸)

وجوابه هو:كان السيد يعتقد بأنّ علي بن أبي طالب قد ورث بحكم مولده ومرباه، مناقبَ النبوة، ومواهبَ الرسالة، فاعتقد بالوصية، وحصرها في عليّ وبنيه، وطعن في إمامة الشيخين، بأنّ أبابكرٍ وعُمر اغتصبا حقّ عليّ، فكانا ظالمين يجب التبرّؤ منهما، ولكنّ عليّاً مع شعوره بأنّه أولى بهذه الخلافة، بايع الخلفاء الثلاثة نزولاً على إرادة المسلمين. في حين أنّ رسول الله (ص) قال:«مَنْ كُنتُ مَولاهُ فهذا عليٌّ مَولاه» و تلك وصية لا يستطيع أحد أن يحرّفها أو ينقضها. فقد كان يلحّ بشعره على حديث البيعة وقصة (غديرخم[۱]) التي كانت بعد حجة الوداع وعندما يرى نقض تلك الوصية، فاصطبغ شعره بالحزن العميق، والغضب الحاد فيقول:

بَرئتُ إلى اللهِ مِنْ ابْنِ أرْوَى   وَمِنْ دِينِ الخوارجِ أَجْمَعينا[۲]
وَمِنْ فِعلٍ بَرئتُ وَمِنْ فَعيلٍ   غَداةَ دُعيَ أميرُ المؤمنينا[۳] (ديوان، ۲۲۸)

فكان يتصدّى بعنف لمن يرجىء عليّاً، ويشتمه أو يغضب على الذين يذكرون الإمام عليّ (ع) بما لا يحسنه. فقال أبو الفرج:«حدّثني أبي قال كنتُ مع السيد على باب عقبة بن سالم، فقال ابن سليمان بن علي يعرّض بالسيد، أشعر الناس والله الذي يقول:

محمّد خيرُ من يمشي على قدمٍ   وصاحباهُ وعثمانُ بنُ عفانا

[۱] – النوبختي، فرق الشيعة، ۱۹/۱؛ الشهرستاني، الملل والنحل،۱۶۳/۱؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ۱۶۹/۱؛

[۲] – إبن أروَى: هو عثمان بن عفان، وأمّه أروَى بنت كريز بن ربيعة

[۳] – رويَت تلك الأشعار لكثيّرعزّة، مع اختلاف في البيت الثاني:

وَمِن عُمر برئْتُ وَمِن عتيقٍ   غداةَ دُعي أميرَ المؤمنينا (عتيق: هو أبو بكر الصديق)

فوثب السيد وقال:«بل أشعر، والله، منه الذي يقول: (الإصفهاني، ١٩٦٨: ٧/١٨)

سائلْ قُريشاً إنْ كُنْتَ ذا عَمةٍ مَنْ كانَ أثبتُها في الدّينِ أَوْتاداً
مَنْ كانَ أعلَمَها عِلماً وَأحلمَها حِلماً وَأصدقَها قَوْلاً وَميعاداً
إنْ يَصدُقوكَ فَلَنْ يَعدوا أبا حَسنٍ إنْ أنتَ لَمْ تَلقَ لِلأبرارِ حُسّاداً (ديوان؛ ١/٦٩)

فلماذا يُعدّه النّقاد، مغالياً مفرطاً في اعتقاده، ويهاجون عليه وهو شاعر شيعي ملتزم يصرّح جهراً بمذهبه في الذود عن حمى أئمته وبيان محاسنهم ومناقبهم، ولا يعتبر قول ذلك الشاعر ونظائره في ذكر فضل أئمته الغلو القبيح أو الافراط في الاعتقاد؟

من جانب آخر، أنّ السيد قد أجاب بهذه التهم في حديثه مع رجل متعصب حيث يقول:«أخبرني محمد بن جعفر النحوي، قال:كان السيد يختلف إلينا ويغشانا فقام من عندنا ذات يوم فتخلفه رجل وقال لكم شرف وقدر عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف، فبلغ ذلك السيد فكتب إليه: (الإصفهاني، ١٩٦٨: ٧/١٣)

فَما لي ذَنْبٌ سِوَى أننّي ذَكَرْتُ الّذي فَرّ عَنْ خَيْبَرَ
ذَكَرتُ امْرأ فَرّ عَنْ مِرْحَب فِرارَ الحِمارِ مِنْ القَسْوَر[١]
لَحاني بِحُبِّ إمامِ الهُدَى وَفاروقِ أمّتِنا الأكبَرَ[٢]
سَأحلّقَ لحْيَتَه إنَّها شُهودٌ عَلى الزورِ وَالمنْكَر (ديوان؛ ١/ ١٢٢)

وهناك دلائل أخرى تشير إلى منافسة الصحابة في أمر الخلافة فأغمضوا أعينهم على حقّ الإمام علي (ع) المسلّم في الخلافة وغافلوا عن وصيّة الرسول الكريم (ص) عند غدير خمٍّ فيحدّث ابن ميثم البحراني عن اهتضام حقّ الإمام علي (ع) قائلاً:«إنّ المنافسة الّتي كانت بين الصحابة في أمر الخلافة معلومة بالضرورة لكلّ مَن سمع أخبارهم، وتشاجرهم في السقيفة، وتخلّف عليّ ووجوه بني هاشم عن البيعة أمر ظاهر لايدفعه إلّا جاهلٌ أو معاندٌ» (البحراني، ١٤٠٨: ٩١).

وإثر تلك الواقعة، إنعكس شعراءُ الشيعة ما وقع بأهل البيت (ع) مِن تضييع الحقوق وتخلّفهم عن الخلافة في أشعارهم بارزين الغدر والخيانة من قبَل أصحاب رسول الله في تلك الحادثة. فكان من سجاياهم أن يهجووا على خصوم آل علي (ع) ويبالغوا في هجوهم، ويذكروا مناقب أهل البيت (ع) ومحاسنهم. إذ نرى هذه الحقائق تُواجه بردود فعلٍ عنيد من قبَل مخالفي الشيعة فيتهموهم بقلب الحقائق والذمّ المنكر. فما هو ذنبُ

[١]- القَسْوَر: ج قَسَاوِر: الأسد، الغلام القوّي الأسد
[٢] – الفاروق: الّذي يفرق بين الأمور

شاعر يدافع عن عقيدته الراسخة ويذكر الحقائق المرّة آنذاك؟ هل كان يستطيع شعراء الشيعة أن يغمضوا أعينهم على الخيانة وتضييع العدالة فيسكتوا عن بيان الحقائق؟

من العجب أنّ الإصفهاني يقول:« هجر الناسُ شعرَه ...». فالسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ههنا: ما هو قصده من «النّاس»؟ هل يقصد به جميع الناس في ذلك العصر أو طبقة خاصّة منهم؟ إن نصدّق صحة هذا الخبر بأنّ الناس كانوا قد هجروا شعر السيد وذمّوه آنذاك، فلابدّ لنا أن نقبل بأنّهم كانوا يبغضون السيد ويطردوه حتى بعد موته. ولكنّه يصفه في موضع آخر خلافاً لذلك الرأي بقوله:«كان حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه» (الإصفهاني،٤/٧).كذلك يروي ابن المعتز مكانته بين الناس:« لما احتضر السيد نظر إليه غلامه وبكى، فقال له: ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي وأنت تموت وليس لك كفن؟ فقال: إذا أنا قضيتُ فصِر إلى صف الخزازين، فقل ألا أنّ السيد الحميري مادح آل رسول الله (ص) قد مات ففعل، فوافاه سبعون كفناً فيها الوشي والدبيقي» (ابن المعتز، لا تا:١/٣۶)

فالقول الصحيح، هو أنّ النّاس في تلك المجتمع انقسموا إلى أقسام شتّى، فيحتمل أنّ فئةً منهم تركوا شعر السيد وحضّوا على تركه من أجل سبّ السلف، خلافاً لمبادئهم المذهبية أو الطائفية، هم الّذين تطرّقوا إلى سبّ عليّ بن أبي طالب (ع) وأهل بيته معلناً آنذاك. وشوقي ضيف يصوّر مباديء هذا القسم من الناس دون تعرّض إلى مواقفهم، قائلاً:«...ومثله محمد بن وهيب، كان يفد على وزراء بني العباس وخلفائهم، وهو غالٍ في تشيّعه وإماميّته، أنّه تردّد على مجالس تُذكَر فيها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، ولا يذكر فيها شيء من فضائل عليّ، فتولّى حنقاً وهو يقول: (ضيف، ١٩۶۶: ٣٠٨)

أغْدُو إلَى عُصْبةٍ صُمّتْ مَسامِعُهُم عَنِ الهُدَى بَيْنَ زَنْديقٍ وَمَأفونِ[1]

لا يَذكرونَ عليّاً في مَشاهِدهم وَلا بَنيه بني البيضِ الميامِنِ[2]

لَوْ يَسْتطيعونَ مِن ذِكرى أبا حَسنٍ وَفَضْلِه قَطّعوني بِالسّكاكينِ

فكما نرى، كانت تلك العصبة غالين في اعتقادهم، بحيث كانوا لا يثقون بشيءٍ إلّا ذكر مناقب أئمتهم وكانوا يتشدّدون في عقائدهم، فيبتعدون من ذكرى عليّ وابنائه الكرام. فكيف يتّهم الشاعر الشيعي بالغلوّ في أئمتهم دون أن يُندَد فعلُهم السخيف؟ أليس هذا التشدّد، علامة لضلال عقيدتهم والغلوّ لأئمتهم؟ فلم لا يشير شوقي ضيف إلى هذه النزعة المغالية ولا يتّهمهم بالإفراط القبيح؟

---

[1] – أفنَ – أفناً وأُفنَ: ضعف رأيُه فهو أفينٌ ومأفونٌ

[2] – ميامين: ج الميمون: ذو اليُمن والبركة

وبعض الناس يوافقون مبادئه السياسية ويعجبون بشعره ويستحسنون مذهبه الخاص في أشعاره[١]. وكما كان بعض الناس في بادية البصرة، يطربون بشعره ويقولون:«هو، والله، أحد المطبوعين، لا، والله، ما بقي في هذا الزمان مثله» (الإصفهاني، ٤/٧). فلا نستطيع القول بأنّ الناس كلّهم طردوه ولعنوه، بل هناك أمور أخرى أجّجت هذه العصبية، منها تأثير السياسة والعقائد في شعره، لأنّه كان يهجم على غاصبي خلافة آل علي (ع) من العباسيين بصراحة اللهجة وصدق البيان، ومِن هذا المنطلق كان يواجه الصعاب ويرميه خصومه أنواع التّهم والشتائم، بحيث قال أبوالفرج:«أخبرنا أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شبة عن أبي الهذيل العلاف عن أبي جعفر المنصور قال: بلغني أنّ السيد مات بواسط فلم يدفنوه والله لئن تحقّق عندي لأحرقنّها» (المصدر نفسه، ٢٤/٧). هذه الرواية تذكّرنا قصد هارون الرشيد السخيف في إحراق جسد الشاعر الشيعي منصور النمري حيث يقول:«لقد هممتُ أن أنبشه ثمّ أحرقه» (ابن قتيبة،١٤٢٣: ٢/ ٨٤٧)

فعندما ينظر المنصف إلى ما يقال في السيد الحميري من تخوّف الناس و السبّ وشتمهم، يخطر بباله مظلومية هذا الشاعر الملتزم في دفاعه عن حقوق الشيعة المهتضمة وإفشاء بعض الحقائق المكتومة في التاريخ. هذا وإنّهم لايندّدون نيّات الخصوم في إحراق جسد شعراء الشيعة، فلا يؤاخذهم أحدٌ في نياتهم المشؤومة.

الحميري، شاعرٌ كيساني أوْ أمامي؟

يعتقد أبو الفرج بأنّ السيد لم يتراجع عن مذهبه في محمد بن الحنفية، بأنّه ظلّ متمسكاً بعقيدته الشيعية الكيسانية، فيقول:«إنّ من قالَ إنّه رجع مِن كيسانيته هذه، وقال بإمامة جعفر بن محمد (الصادق)، فقد أخطأ» (الإصفهاني،١٩٨٦: ٤/٧). وتبعه بعض النقاد المعاصرين في هذه العقيدة. يبدو أن الإصفهاني قال هذا الرأي متأثراً برواية عن اسماعيل بن الساحر في عدم رجعة الشاعر عن الكيسانية بقوله:«والله ما رجع عن ذلك، ولا القصائد الجعفريات إلّا منحولة له، قيلَت بعده. وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث» (المصدر نفسه، ٤/٧). ولكنّنا لدينا أخبار كثيرة عن صحة رواية قبوله المذهب الإمامية[٢]. ابن المعتز (٢٤٧ – ٢٩٦ هـ)، يشير إلى هذا الأمر قائلاً:«وحدثني محمد بن عبد الله قال: قال السدري: ما زال السيد يقول بذلك، حتى

[١] – قد عدّه أبوعبيد «أشعر المحدثين، يعجب بشعره، ويستحسنه ويرويه» (الأغاني، ٥/٧)؛ وقال العُتبي:«ليس في عصرنا هذا، أحسن مذهباً في شعره، ولا أنقى ألفاظاً من السيد» (المصدر نفسه:١٠)

[٢]– ابن شهرآشوب، مناقب آل البيت، ٤/ ٢٤٦؛ أميني، الغدير، ٦/ ٩١؛ الكتبي، فوات الوفيات، ١٩٠/١؛ نوبختي، فرق الشيعة، ٣٠/١

لقي الصادق عليه السلام. بمكة أيام الحج، فناظره وألزمه الحجة، فرجع عن ذلك. فذلك قوله في تركه تلك المقالة، ورجوعه عما كان عليه ويذكر الصادق عليه السلام» (ابن المعتز،لا تا، ۳۳/۱)

تَجَعْفَرتُ بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أكبرُ وَأيقَنْتُ أنَّ اللهَ يَعْفو وَيَغفرُ
وَيَثبتُ مَهما شاءَ ربّي بِأمرِهِ وَيَمحُو وَيَقضي في الأمورِ وَيَقدرُ (ديوان، ۱۰۰)

أضف إلى هذا، إنّ الإمام جعفر الصادق (ع)، لقّبه بـ«سيّد الشعراء»[1] بعد رجوعه عن الكيسانية، وقال السيد في ذلك:

بَذَلْتُ لهم وُدّي ونُصْحي وَنُصرَتي مدَى الدّهرِ، ما سُمّيتُ ياصاحِ سيّدا (ديوان، ۷۲)

ونفَى أبو الفرج أن يكون الشعر الذي تحدّث عن «تجعفره»، بمستوى قصائده. فشعره الجعفريات، على حدّ قوله، ضعيف، يتبيّن فيه التوليد والدسّ.

الهوامش

۱. ولد "دعبل" في الكوفة سنة ۱٤۸ هـ ويكنّى أبا علي (ابن خلكان. ۱۹٦۸م: ۲۷۰/۲)، فهو ينتمي في نسبه إلى قبيلة خزاعة المعروفة بولائها العريق للإسلام ولرسول اللّه (ص). ولعل أهم شاعر أعلن عقيدته الشيعية وعاش يناضل في سبيلها هو دعبل الخزاعي، وكان يتأسى بالنمري في بكاء آل البيت ورثائهم، وامتاز بأنه كان يضيف إلى ذلك هجاءً لاذعاً في العباسيين (ضيف،لا تا: ۹۳/۱)

۲. هو السيد إسماعيل بن محمد الحميري وقد أدرك أواخر العصر الأموي وعاش بقيّة حياته في ظلال العصر العباسي. هو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقى له وساداً بمسجد الكوفة (ابن عبد ربه، ۱٤۰٤: ۹۱/٥) السيد الحميري رحمه الله كان كيسانيا يقول برجعة أبي القاسم محمد بن الحنفية فلمّا عرفه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام الحقّ والقول بمذهب الإمامية الاثنى عشرية، ترك ما كان عليه و رجع إلى الحقّ وقال به، وشعره رحمه الله في مذهبه مشهور لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره (أميني،۱۹۷۷: ۹۷/٦)

[1] - النوبختي، فرق الشيعة: ۲۹؛ الموسوي الخوانساري، روضات الجنات: ۱۰۳/۱

النتيجة

آراء بعض النقاد العرب يدلّ إلى أنّ الإصفهاني أدخل في كتابه«الأغاني» روايات موضوعة ومنحوله، فيشكّون في صحّته، ويرون أنّه لا يخلو من بعض الهفوات والسقطات حين إستعراضه لشخصيّة بعض شعراء الشيعة، هم الذين بذلوا النفس والنفيس في الدفاع عن أهل البيت (ع)، فصوّرهم في بعض الأحيان بما لا يوافقه الشيعة. لأنّ هذه التهم، صدرت منه بدافع العصبية ولاتنعكس الحقيقة في زوايا حياتهم السامية، وقد خرج عن طريق الحقّ والصواب أحياناً.

كان شعراء الشيعة يرون فقد العدالة في حقّ علي (ع) وأبنائه فيملأهم حنقاً وغيظاً، فهذه البواعث النفسية حملتْهم على الإكثار في النقد والتعريض والتذمّر والشكوى لخلفاء بنى العبّاس و قوّادهم، فيصوّر لنا دعبل آلاماً لاذعةً وأحراناً تجيش فى صدره بسبب ما آلت إليه الخلافة من التفكّك والضعف، والّتي يجب أن تراعي مصالح الشعب، فمن الطبيعي أن لايسكتوا على هذا العدوان المبين ويملأوا أشعارهم بالنقد اللاذع لمهتضمي حقّ أهل البيت (ع) دون خوفٍ ولا تردّد و هذا هو المنهج الذّى يعدّه أبوالفرج الإصفهانى ضرباً من الهمجيّة لدى دعبل، وبما أنّ التشدّد في الاعتقاد والتذمّر والشكوى تداول بين شعراء الشيعة ومخالفيهم، فلا يشير أبوالفرج وتابعيه إلى تلك النزعات المغالية في سبّ عليّ (ع) وأبنائه من قِبل المتطرّفين من مخالفي الشيعة، ولا يعدّون أقوالهم إفراطاً قبيحاً من الناحية الدينية أو السياسية.

كان أبوالأسود الدؤلي شيخ العشيرة وسيدّهم وله الفخر والجلالة، فكيف يستطيع ابن أبي ربيعة أن يطعن في شخصية زوجتها ويبالغ في تعرّضه لها مرآت؟ وكيف يتخطّى أبو الأسود من حدود الشرعية في موسم الحجّ ويشهّر سيفه جوار الكعبة المقدّسة في حين تحريم القتال في الشهر الحرام؟ فيبدوا هذا التجاسر في بيان تلك الحكاية السخيفة يقصد تلطيخ أعراض الشيعة وشعرائهم. فهؤلاء المؤرخون لم يتركوا شخصيّة شعراء الشيعة الملتزمين إلّا ودسّوا في سيرتهم، بحيث نرى أنّ أبا الفرج روى حكاية موضوعة عن سيرة «دعبل» مسدّداً سمعته، وهو الشاعر الوحيد الذي لم تسكن قوافيه عن النقد اللاذع للخلفاء العباسيين ومَن يدور في فلكهم، حاملاً خشبته على كتفه خمسين سنة متحدّياً جبروت العباسيين وبطشهم، فامتاز عن شعراء عصره بأنه كان جريئاً غاية الجرأة، ويذمّ خصوم أهل البيت (ع) بالأهاجي المرّة غير عابئ بما قد يصيبه من الهمّ والحرمان. فنفسه الأبيّة لاترضي التذلّل والخنوع أمام الأعداء وهو لايبكي أبداً بين يديّ خصمه ليطلب النجاة والرّاحة، خلافاً لرأي أبي الفرج وحكايته السخيفة بغية تشهّره بين الناس. فنستطيع القول بأنّ أبا الفرج قد جمع بعض ما وصل إليه من الرّويات المنحوله حول بعض شعراء الشيعة دون العناية بتحقيق صحّتها وحقيقة وقوعها ومن هنا وقع في بعض المزالق والهفوات.

المصادر والمآخذ

– القرآن الكريم

– الأصفهاني، أبو الفرج (١٩٨٦م). الأغاني، الشرح والهوامش د. عبدالله علي مهنا، بيروت، دارالفكر.

– الأعظمي، وليد (١٩٨٨). السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني،ط الأولى، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

– اميني نجفي، علّامه عبد الحسين (١٩٧٧م). الغدير، بيروت، دار الكتاب العربي.

– ابن الأبار الأندلسي. (١٩٦٣م). الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس. الطبعة الأولى. القاهرة: لانا.

– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٩٦١). مقدمة ابن خلدون، ط الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

– ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (١٩٩٥). تاريخ دمشق، ثمانين مجلداً، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

– ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٤٢٣). الشعر والشعراء، القاهرة، دار الحديث.

– ابن المعتز، عبد الله بن محمد (لا تا). طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط الثالثة، القاهرة، دار المعارف.

– ابن منظور المصري. (١٩٦٥–١٩٦٦م). مختار الأغاني. القاهرة: تحقيق الأبياري.

– ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (١٤٠٨). اختيار مصباح السالكين، تحقيق محمد هادي الأميني، ط الأولى، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدّسة.

– البغدادى، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (١٤١٧). تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

– الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (١٩٩٢). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد و مصطفي عبد القادر عطا، تسعة عشر جزءاً، بيروت، دار الكتب العلمية.

– حسين، طه (لا تا). حديث الأربعاء، الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة، دار المعارف.

– الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (١٩٩٣). معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المحقق: إحسان عباس، ط الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

– خلف الله، محمّد أحمد (١٩٥٣). صاحب الأغاني أبو الفرج الإصفهاني في الرواية، قاهرة، مكتبة نهضة مصر.

– دعبل الخزاعي (لا تا). ديوان دعبل الخزاعي، المحقق عبدالصاحب الدجيلي، ط الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (٢٠٠٣). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

– ضيف، شوقي (لا تا). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط الثانية عشرة، قاهره، دار المعارف.

– .....(١٩٦٦). تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة السادسة عشرة، القاهرة، دار المعارف.

– غنيمى هلال، محمد (لا تا). النقد الأدبي الحديث، قاهرة.

– مبارك، زكي (١٩٣٤). النثر الفني في القرن الرابع، الجزء الأول، ط الثانية، القاهرة، مكتبة التجارية الكبرى.

– الموسوي الخوانساري الاصبهاني، محمد باقر (لا تا). روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، تحقيق اسد الله اسماعيليان، قم.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

«Respond to the positions of Abu Faraj al-Isfahani toward some poets Shiites»

Masoud Eghbali, Mojtaba Behroozi

Abstract

The poets Shiites Shiites had served directly to their imams Bmdaúham In INDIRECT charged with insulting the enemies of the people of the house, They were Ahjohn ruction their religious faith and Evhacon in Hjohm, Defended the people of the house and protected them cleared, But they may threw who does evil, betrayal and cheese ... and by some critics, Since the book «Music», is a source Hamavi Arabic literature, No wonder, that this book is outstanding combination of a lot of novels weak or apocryphal, Not without some errors and hiccups while reviewing the character of some poets Shiites. Faisoarham sometimes do not agree with him, including Shiites. In this article we come as cited in his book Abualfarag songs from the misdeeds of some poets household Almlenzmin. It may indicate the transfer of accounts and sordid morals Ahjaehm sarcastic non-cash nor scrutinized. While it is reviewing the charges for these heinous poets, little suspicious of what it meant to the absurd tales of staining their reputation and appeal in their symptoms.

Key words: Abu Faraj al-Isfahani, poets Shia, committed literature, criticism.

پرتال جامع علوم انسانی